مجلة مستقبل العلوم الإجتماعية
Future of Social Sciences Journal
FSSJ

فلسفة التغير في التحولات الاجتماعية
قراءة نقدية معاصرة

The Philosophy of Change in Social Transformations A Contemporary Critical Reading

رينا سعد الرحيلي

محاضرة بقسم الدراسات الاجتماعية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الملك سعود.

DOI: 10.21608/fjssj.2025.411914 **Url**: https://fjssj.journals.ekb.eg/article_411914.html
تاريخ إستلام البحث: ٢٠٢٥/١/٢٢م **تاريخ القبول:** ٢٠٢٥/٢/٢٨م **تاريخ النشر:** ٢٠٢٥/٤/١٠م
توثيق البحث: الرحيلي، رينا سعد. (٢٠٢٥). فلسفة التغير في التحولات الاجتماعية قراءة نقدية معاصرة. مجلة مستقبل العلوم الإجتماعية,ع. ٢١،ج.(٤), ص-ص:١٠٩-١٣٢.

٢٠٢٥م

المجلد: الحادي والعشرون. ا **العدد**: الرابع. أبريل ٢٠٢٥م.

مجلة مستقبل العلوم الإجتماعية
Future of Social Sciences Journal
FSSJ

فلسفة التغير في التحولات الاجتماعية قراءة نقدية معاصرة

المستخلص:

في ظل التحولات العميقة والمتسارعة التي يشهدها العالم المعاصر، برز موضوع التغير كعنصر محوري في الدراسات الفكرية والاجتماعية، مما دفع الباحثين إلى إعادة النظر في العلاقة بين التغير والوجود. وتحت عنوان فلسفة التغير، يُطرح البحث تساؤلات جوهرية حول كيفية تأثير التحولات على طبيعة الكينونة الإنسانية وعلى أنماط الوجود في سياق متغير، وذلك عبر استعراض الآراء الفلسفية التي تناولت مفهوم التغير كأساس لإعادة تشكيل مفاهيم الوجود الفردي والجماعي. تسعى هذه الدراسة إلى تقديم تحليل متكامل لهذه المحاور الثلاثة، مستعرضةً في البداية الأسس الفلسفية لفهم التغير وعلاقته بالوجود، ثم متناولةً إسهامات المفكرين الاجتماعيين في تفسير التحولات الاجتماعية، وأخيراً استقصاءً لنزاعات الفكر بين القديم والحديث في ظل متطلبات الواقع المعاصر. ومن خلال هذا المسار، يُرجى الكشف عن الأبعاد المتعددة للتغير وتأثيرها على البنى الاجتماعية والفكرية، مما يوفر رؤية شاملة تسهم في إثراء النقاش العلمي حول مستقبل المجتمعات وتحولات الوجود الإنساني. وقد توصلت النتائج إلى أن فلسفة التغير تشكل العمود الفقري لفهم طبيعة الوجود في عصر يتسم بالحركة الدائمة والتحولات الجذرية، وإن التغير الاجتماعي يتطلب تبني منهجيات تحليلية شمولية تتيح تقييم الأبعاد المتعددة للظاهرة، مما يعكس مدى عمق العلاقة بين الفكر والمجتمع. كما توصلت النتائج إلى أن نزال الفكر بين القديم والحديث أن الصراع بين الأفكار التقليدية والمقاربات المعاصرة ليس بالصراع السلبي، بل هو عملية تفاعلية إيجابية تعمل على تجديد الأفكار وإعادة صياغة المفاهيم. ويأمل البحث أن تشكل هذه النتائج نقطة انطلاق لمزيد من الدراسات التي تسعى إلى استيعاب وتحليل مفاهيم التغير والوجود في ظل التحديات المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: فلسفة التغير، الوجود، التغير الاجتماعي.

The Philosophy of Change in Social Transformations A Contemporary Critical Reading

Abstract:

In light of the profound and rapid transformations witnessed in the contemporary world, change emerges as one of the fundamental pillars of intellectual and social studies. This has led researchers to reexamine the relationship between change and existence. This research

addresses the philosophy of change by raising fundamental questions about how transformations affect the nature of human existence and modes of being in an evolving context, through an examination of philosophical perspectives that consider change as a basis for reshaping both individual and collective concepts of existence. In a related context, the study reviews the contributions of social thinkers in explaining the phenomenon of social change, relying on theoretical frameworks and analytical methodologies that reveal the dynamics inherent in processes of social transformation. It also sheds light on the intellectual struggle between the old and the new, addressing the ongoing conflict between traditional ideas and contemporary approaches. The study emphasizes that this struggle is not a negative process but rather a positive interaction that contributes to the renewal of ideas and the reformulation of concepts per the demands of contemporary reality. The study aims to uncover the multiple dimensions of change and its impact on social and intellectual structures, thereby providing a comprehensive vision that enriches the scientific discourse on the future of societies and the transformations of human existence. The findings indicate that the philosophy of change constitutes the backbone for understanding the nature of existence in an era characterized by constant movement and radical transformations. Social change necessitates the adoption of comprehensive analytical methodologies to evaluate all its dimensions, reflecting the depth of the relationship between thought and society. Furthermore, the study demonstrates that the intellectual struggles between the old and the new are not conflicts that hinder renewal, but rather a dynamic process that contributes to the reformulation of ideas in a manner that meets the aspirations of the contemporary era.

Key Words: Change, Existence, Social Change.

- مقدمة:

يعتبر التغير الاجتماعي حقيقة وجودية فضلاً عن انه ظاهرة عامة وخاصية أساسية تتميز بها نشاطات ووقائع الحياة الاجتماعية، بل انه ضرورة حياتية للمجتمعات البشرية فهو سبيل بقائها ونموها، فبالتغير يتهيأ لها التكيف مع واقعها، وبالتغير يتحقق التوازن والاستقرار في أبنيتها وأنشطتها وعن طريق التغير تواجه الجماعات متطلبات افرادها وحاجاتهم المتعددة والمتجددة.

وينظر علماء الفكر الإنساني إلى أن التغير ظاهرة اجتماعية تمس كل مستويات الوجود في المادة الحية والغير الحية وكذا الحياة الاجتماعية، ولقد قطعت المجتمعات الإنسانية من فجر الحياة الاجتماعية إلى عصرنا الحديث مراحل من التطور وعاصرت أحداثاً كثيرة وتغيرات جذرية شاملة تختلف باختلاف الأزمنة، وباختلاف الشعوب والثقافات.

فالتغير حقيقة تاريخية تتناول كل مقومات الحياة الاجتماعية وتصيب النظم والعلاقات الإنسانية التي تتفاعل وتترابط وتتكامل فيما بينها فكل صورة من صور التغير هي حقيقة وجودية بيولوجية وتاريخية واجتماعية والتي يمكن ملاحظتها في كل مجتمع من المجتمعات البشرية. ويشير الوجود الى القدرة على التفاعل مع الواقع (أو الكون) بشكل مباشر أو غير مباشر. يُعتبر هذا التعريف المحدد للوجود أحد أهم المسائل وأكثرها جوهرية في الأنطولوجيا. وعليه نجد من الناحية الفلسفية للتغير انه يعني كل إرادة او فعل. والفعل بطبيعة الحال يؤدي الى الحركة وكل حركة تنطوي على تغير (مدبولي، ١٩٧٩، ص: ١٣٩).

وقد سعى كثير من الفلاسفة خلال عقود من الزمن الى تناول قضية التغير والثبات للوجود – فهل الوجود متغير او ثابت – حتى تم الوصول الى حالة من التشبع الدلالي التي جعلت الفكر الفلسفي ينصرف من بعده الى مناقشة الانسان الفاعل للتغير والمدبر الحقيقي له ومحالة الوصول الى كُنه التغير ان صح التعبير. فسيكون استعراضنا لهذا الفصل وفقًا للتتبع التاريخي. الذي سنحاول من خلاله سرد لبعض اراء الفلاسفة وتبيين من هم من الفلاسفة الذين أكدوا ان الوجود متغير، ومن منهم زعموا ثباته، ومن منهم وفق بين هذين الاتجاهين وأشار الى ان الوجود متغير وثابت في آن واحد، او ان التغير نسبي. ومن منهم انصرف الى الانسان المغير للمجتمع. ومن ثم نستعرض لبعض المفكرين الاجتماعين وكيفية تناولهم ودراستهم لقضية التغير الاجتماعي، وكيف أصبح موضوع التغير نزال فكري بين القديم والجديد.

– **التغير والوجود:**

تعتبر فلسفة التغير والثبات من الفلسفات الطبيعية قبل سقراط، وهي محور التفكير الفلسفي منذ بدء التفلسف: ولا تزال لها أهمية عند الفلاسفة والعلماء حتى اليوم. فقد بدأ الفلاسفة قبل سقراط بالرد على التساؤلات التي طُرحت عن أصل الكون وتغير ظواهره الطبيعة من حولهم ذلك بالملاحظة والتأمل العقلي المجرد غير التجريبي فقد اتجه هذا الاهتمام ليعالج

المشكلات التي تتعلق بطبيعة العالم وتغير ظواهره وثباته (محمود، احمد امين، ٢٠١٨، ص: ٨٥). فلقد تناولها كثير من فلاسفة اليونان بالتأمل والبحث، ويعد طاليس في مقدمة الفلاسفة الذين أرجعوا كون الأشياء المادية إلى علة أُولى واحدة، وحدد طاليس هذه العلة بأنها الماء، يقول" :الأرض ما هي إلا ماء، والهواء هو ماء ثقيلُ الزنة، وأن جميع الأشياء تتغير دائماً من حالة الى أخرى. فيزعم طاليس أن كل ما في الكون متحرك بسب ما بداخله من روح. (محمود، احمد امين، ٢٠١٨، ص: ٢٣). وأشار إنكسمندريس إلى أن العلة الأولى للأشياء هي الأبيرون أو اللانهائي أو اللامحدود، وهذه العلة هي التي نفسر من خلالها ما نراه من تغيرا ت في الوجود. ويعد إنكسمندريس بذلك ممهدًا لقول هيراقليطس بالتغير. الذي يعتبر اهم فلاسفة اليونان وهو الممثل الأجدر لفلسفة الحركة والتغير اذ يقول "ان الأشياء في تغير متصل ومستمر بحيث أن المرء لا يستطيع ان يسبح بذات النهر مرتين لأن مياها جديدة تجري من حوله ابداً "(توثيق)، ورغم دقة هذه الملاحظة وصدقها الواقعي فإننا نميل في العادة إلى إسباغ طابع الثبات والديمومة، ولو لفترات محددة على أنفسنا وعلى ما حولنا، ورغم ما يحدث من وجوه التغير سواء كانت طفيفة أو كبيرة، فإننا نظل نعتقد أن للنهر شكلً ثابتًا وأن للإنسان ولشخصيته ملامح تبقى على حالها دون تغيير (جيدنز، ٢٠٠٥، ص: ١٠٥).

ومن هذا المنطلق أطلق الباحثون والدارسون على هيراقليطس لقب "فيلسوف التغير"، حيث كان يوكد على جملته الشهيرة "الشيء الوحيد الثابت في الحياة هو التغيير المستمر" فجميع فلسفته كانت في إثبات تغير الوجود لا ثباته، ولا تعتبر فكرة التغير التي طرحها هيراقليطس فكرة جديدة في مجال التفكير الفلسفي، بل هي فكرة قديمة، أما الجديد الذي طرحه هيراقليطس هو أن التغير كلمة نسبية وأن ما ندعوه تغير بطيء أو تغير في رداء خفي، فكل شيء يأتي ويذهب ويحدث بنسب مختلفة، وأن كل مركب إنما يتحلل تدريجيًا. إذًا لا مجال للثبات في هذا الوجود، بل الوجود متغير باستمرار، فالوجود دائم التدفق والسيلان، فلا يبقى شيء على طبيعته على الإطلاق، إنه يتغير إلى ضده. فالتغير يعني تحول الموجود إلى ضده وذلك لا يعني فناء أحد الطرفين، بل يكمن وراء هذا التضاد وحدة من الأضداد. ثم يعقب هذه الوحدة تضاد وتستمر هذه الدورة؛ لأن التغير أو الصيرورة هي حقيقة الوجود. ولذلك يعد التغير هو جوهر فلسفة هيراقليطس فالوحدة أو الاتساق الذي يشير له هراقليطس لا يخلو من توتر هو سر ديمومة الصيرورة، أي أن الاتساق الذي يعقب التضاد غير ثابت فلابد من أن يفضي إلى تضاد يعقبه اتساق وهكذا تواليًا. لذلك اتصفت سيرة الموجودات التي

نشاهدها بالسيلان الدائم، الذي يرمز إليه هراقليطس بسيلان ماء الجدول المنساب على الدوام (محمود، احمد امين، ٢٠١٨). ويحكم التغير الظاهر في الكون والصراع القائم بين الأضداد قانون أزلي يسمى اللوجوس؛ فكل من التغير والصراع لا يحدثان عرضاً او اتفاقاً؛ بل انهما يحدثان طبقاً لقانون طبيعي يسيطر على هذا الوجود وهو اللوجوس الذي يشير إلى مدلولات كثيرة منها القانون والإله، وهذا القانون وحده الثابت في هذا الوجود الذي يسري عليه التغير باستمرار، ويدرك هذا اللوجوس أو القانون بواسطة العقل مقابل الحواس التي تعرف التغير والصيرورة وقانون اللوجوس هو سنة كونية عقلية حتمية تحكم جميع الأشياء، فاللوجوس يخضع له هذا الوجود المتدفق باستمرار.(إبراهيم، ٢٠١٦، ص: ٣٢٩).

اما بارمنيدس الذي جاء من بعد وأكد أن الوجود ثابت وساكن، فكانت رايه مقابل رأي هيراقليطس أن الوجود متغير، وهكذا خالف بارمنيدس من كان قبله. فقد قسم الوجود إلى وجودين: الوجود العقلي وهو والوجود الحقيقي، والوجود المحسوس هو الوجود الزائف، الأول ثابت، أما الثاني فهو متغير، الأول نعرفه بواسطة العقل، والثاني نصل إليه من خلال الحواس.

ولقد أثرت فلسفة التغير وفلسفة الثبات الخاصة بكل من هيراقليطس وبارمنيدس في كل الفلاسفة الذين أتوا من بعدهم. (إبراهيم، ٢٠١٦، ص: ٣٤٧). وكان من المتأثرين بمفهوم التغير عند هيراقليطس من عدمه، ومعرفة العلة الأولى للأشياء، وهل هي علة واحدة أم أكثر من علة هم السوفسطائيين الذين ووجهوا التفكير الفلسفي وجهة أخرى وهي الاهتمام بالإنسان، أي الاهتمام بمسائل المعرفة والأخلاق أكثر من الاهتمام بمبحث الوجود. فجدير بالذكر أن ننوه إلى أن الفلسفة قبل عصر السوفسطائيين كانت منشغلة بالبحث عن مسائل الوجود الطبيعي (الشريف، ٢٠١٤، ص: ٢٠٣).

وفي مجال المعرفة أشار بروتاجوراس – هو زعيم الفكر السوفسطائي في القرن الخامس قبل الميلاد. وتُعتبر أفكار بروتاغوراس هي أساس أفكار السوفسطائيين – إلى أن الحواس هي المصدر الوحيد لمعرفة حقائق الأشياء لا العقل كما يرى هيراقليطس فالحواس تدرك حقيقة الوجود، ولما كانت تتغير من شخص إلى آخر، وتتغير عند الشخص الواحد من وقت إلى آخر، لذلك فالمعرفة متغيرة ونسبية. فيقول: "الإنسان مقياس الأشياء جميعًا. فهو مقياس وجود ما يوجد منها، ومقياس لا وجود ما لا يوجد، وأن المعرفة متغيرة ونسبية، وأنه لا يوجد قاعدة أخلاقية عامة يستند إليها البشر في سلوكيّ اتهم، فما أرى أنه حقيقي وفاضل

بالنسبة لي، فهو كذلك، والعكس صحيح، وما يرى الآخر أنه حقيقي وفاضل بالنسبة له فهو كذلك بالنسبة له"(إبراهيم، ٢٠١٦، ص: ٣٤٨). وكان السوفسطائيين يروا ان الاخلاق بدورها تتغير من شخص إلى آخر، بل إنها تتغير عند الشخص الواحد من وقت إلى آخر، فالأخلاق بذلك نسبية ومتغيرة هي الأخرى، فلا مجال لقوانين خلقية عامة يحتكم إليها الناس جميعًا. ولقد استفاد السوفسطائيون من الفلاسفة السابقين عليهم وخاصة هيراقليطس صاحب فلسفة التغير والصيرورة. وترتكز فلسفة التغير عند هيراقليطس – كما أسلفنا سابقاً– على عدة معطيات تلخص أبرزها فيما يلي: الوجود متغير وهو في حالة تحول وسيلان مستمرين؛ فصيرورة الأشياء والموجودات هي حقيقة الوجود، وهذا التحول مرتبط دائمًا بالتناقض والتضاد بين جميع الموجودات، والتناقض بين الموجودات يؤدي حتمًا للصراع، لكنه صراع عادل كما يراه هيراقليطس لا ينتصر فيه قطب على آخر، بل يؤدي إلى ائتلافها رغم تناقضها بما يضمن استمرارية الوجود. (برزنجي، ١٤٤٢هـ، ص: ٢٨٦).

عندما بدأت فلسفة سُقراط التي كانت تدور حول مركزين: نظرية المعرفة التي تحصر العلم في الإدراكات العقلية والمعاني الجزئية، ونظرية الأخلاق التي توحد بين الفضيلة والعلم، والأولى أبعد خطرًا، وأعمق أثرًا في مجرى تاريخ الفلسفة، فقد أحدثت انقلابًا في الفلسفة أقرب إلى الثورة منه إلى التطور البطيء، فهي المعين الذي استقى منه فيما بعد أفلاطون فأرسطو، وهي الأساس الذي نشأت عليه كل المذاهب العقلية المثالية. وكانت كتابات *افلاطون معلم ارسطو الأول توكد على ان التغير الاجتماعي يشبه التغير الذي ينتاب البحر من حركتي المد والجزى؛ لأن البشرية عنده تخضع لقانون الفعل وردود الفعل، ومن هنا فالتغير ليس بتقدم خالص وإنما يسعد الناس بسببه تارة ويشقون تارة أخرى (محمود، احمد امين، ٢٠١٨). بينما يرى ارسطو ان التغير الاجتماعي ظاهرة تعم على الموجودات كافة وفي الأوقات كلها (بدوي، ١٩٨٢، ص: ٢٩).

ويرى ان المجتمع يماثل الكائن الحي في خضوعه لقانون المولد والنمو ثم الموت، وان التغير هو أساس حياة المجتمعات؛ لأنها تتكون من عناصر متعارضة ينشأ عنها تسلسل المكانات والحكومة وتقسيم العمل فيحدث التوازن في المجتمع (الغريب، ٢٠١٧، ص: ٢٤). وهذا يقودنا الى الفكر الخلدوني الفيلسوف والمؤرخ الذي عاش في القرن الرابع عشر ويعتبر من مؤسسي علم الاقتصاد والاجتماع الحديث حيث يرى ابن خلدون ان تاريخ الإنسانية يخضع لقانون الاجتماع البشري ولا يسير عشوائيا، فإذا كان للطبيعة قوانينها المحددة فإن عالم

العمران البشري يتحرك وفق قوانين محددة. فالعمران البشري عنده يُشبه الكائنات العضوية في حركتها نحو الهرم والفساد. فلقد طور في كتابه "المقدمة" نظرية التغيير الاجتماعي ووفقا لنظريته، تتطور المجتمعات من خلال دورات من النمو والاضمحلال، والتي تنجم عن التغيرات في الاقتصاد والديموغرافيا والحكم. عندما يواجه مجتمع ما تراجعًا، فإنه يخلق فراغًا يسمح لمجموعة جديدة بتحدي هيكل السلطة الحالي، مما يؤدي إلى ثورة. وتجلب هذه الثورة دورة جديدة من النمو والاضمحلال، مما يؤدي في النهاية إلى ثورة أخرى. أكدت نظرية ابن خلدون عن الثورة والتغيير الاجتماعي على أهمية فهم الأسباب الكامنة وراء التغيير المجتمعي، بدلا من مجرد الاستجابة للأعراض. (استيتية، ٢٠١٠، ص: ١٢٨)، ولو عرجنا على فكر مالك بن نبي لنجد انه اختزل التغير الاجتماعي في اربع نقاط رئيسية؛ أولا: بناء العالم الروحي وهي مرحلة يكون بها الفرد بأعلى درجات التوتر الإيجابي والعطاء والتي تقوده الى فعالية المجتمع، ثانيا: ان الشرط الأساسي للتغيير هو العالم المعرفي وتزويد الفرد بالمعارف الصحيحة لتوجهه لتحسين الأداء الاجتماعي اذ يقول بن نبي "لا يقاس غنى المجتمع بكمية ما يملك من أشياء بل بمقدار ما فيه من أفكار"، ثالثا: الارتقاء بالسلوك الإنساني أي بناء العالم السلوكي؛ فثقافة الفرد والجماعة هي جوهر السلوك البناء، رابعا: عالم الخبرات الانجازية أي كل ما يساعد على تحسين الأداء الاجتماعي لدى الأفراد وهذه الخبرات تعمل علي طي التاريخ واختزال الزمن. اذن ان مالك بن نبي يركز على فكرة الفعالية، حيث يعتبر الإنسان محور عملية التغيير وهو الفاعل فيه باعتبارها الرابط الذي يجمع بين منطق الفكرة ومنطق العمل من أجل القضاء على السلبية التي تشيع في المجتمعات (سعيد، زياني، ٢٠١٨، ص: ١٢١_١٢٢).

وفي عصر النهضة الأوروبية فقد كان الفيلسوف الإيطالي ميكيافلي نموذجا لفلسفة التغير؛ حيث يرى ان الأوضاع الاجتماعية وتغيرها هي مصدر الحكم على الافراد، ومن ثم جاء بفكرة الغاية تبرر الوسيلة اعتبارا من انه لا شيء على ثبات ولا شيء مستقر، ومن ثم كانت فكرتا الخير والشر فكرتين نسبتين، ولا حساب للأفكار الخلقية بالمفهوم المثالي، ومن هذا المنطق أسس لفكره السياسي والإمارة. (الشريف، ٢٠١٤، ص: ٢٠٤).

اما فلسفة الحداثة؛ فقد كانت فلسفة الأيديولوجيات والأنساق الكبرى والثوابت التي قدم لها كل من ديكارت الذي أوضح فكرة الثبات في مبدأ الكوجيتو وفكرة الجوهر ومبادئ الميتافيزيقا والمنطلق الرياضي لديه، وكانط الذي تمحور حول فكرة الواجب الخلقي في أسس

ميتافيزيقا الاحلاق او نقد العقل العلمي او نقد العقل الخالص؛ حيث أوضح ان الواجب ينبثق من الأوامر القطعية التي يصدرها العقل "اذا كان يجب عليك فأنت تستطيع" هذه الصيغة التي تجمع العقل اواجب ليست متغيرة كفكرة أولا، وليست متغيرة مع الظروف مهما بلغت هذه الظروف لأنها تمثل الجوهر الثابت، فكلاهما –الواجب والعقل– يرجعان الى فكرة ثابتة ازليا وهي فكرة "النومين" حيث يعتقد كانط اننا لا نعرف عن الأشياء الا ما يظهر منها لعقولنا؛ أي انه ثمة قطاعاً وجودياً هاماً يظل غائباً عن الادراك، وهو ما يسميه الشيء في ذاته "النومين" فهو كل مالا يظهر ظهوراً حسياً، اما الأشياء التي تظهر لنا ظهوراً حسياً في الزمان والمكان فيسميها الظواهر او "الفينومين" وقد أوضح كانط الفرق بين النومين والفينومين بهذا المثال: "انني اعرف مثلاً التفاحة لأنها تظهر أمام إدراكي الحصي؛ فيصل الى منها لونها وحجمها وملمسها وطعمها واستدارتها، ولكن هل التفاحة هي كل هذه الصفات او الاثار الحسية فقط"، براي كانط ان ثمة شياً يبقي؛ فنحن لن نستطيع ان نصنع تفاحة من مجرد هذه الصفات الحسية المتباينة فثمة شيء جوهري لا نعرفه إطلاقاً، هذا الشيء في ذاته هو ما يمثل الجوهر الثابت الذي لا يتغير، واما الصفات الحسية فهي الشيء كما يظهر لنا أي الفينومين (الشريف، ٢٠١٤، ص: ٢٠٥). وكان كانط في فلسفته للتغير يرى بتشابك مفهوما الثورة والتغيير وهذان المفهومان يلعبان دورًا مهمًا في فلسفته السياسية. يعتقد كانط أن الثورات ضرورية لإحداث تغييرات كبيرة في المجتمع. وأعرب عن اعتقاده بأن المجتمعات يجب أن تخضع لثورات دورية للحفاظ على زخم التقدم، وتعتبر الثورات وسيلة لتعطيل الوضع الراهن وخلق الظروف اللازمة للتغيير. ولقد رأى في الثورات وسيلة لتحقيق مجتمع أكثر عدلاً وعقلانية، مجتمع يقوم على مبادئ الحرية الفردية والمساواة. ويعتقد كانط ايضًا أن الطريقة الوحيدة لتحقيق مثل هذا المجتمع هي من خلال عملية التغيير المستمر، والتي لا يمكن تحقيقها إلا من خلال الثورات. وبهذا المعنى، اعتبرت الثورات والتغيير ضرورية ومرغوبة، لأنها تمثل قطيعة مع الماضي وفرصة لخلق مستقبل أفضل. (إبراهيم، ١٩٧٢).

ولو عدنا الى اثر امتداد الإرث الفلسفي لفلاسفة اليونان نجد كثير من فلاسفة ما بعد الحداثة كانوا متأثرين بالاتجاهين المتضادين في فكرة التغير والثبات فالمفكر الفرنسي جان بول سارتر لم يخرج بدوره عن ثنائية الثبات و التغير، التي انطلق من رفضها في مقدمة كتابه "الوجود والعدم"، و لم يستطيع تجاوزها، إذ يميز في الوجود بين منطقتين هما "الوجود في ذاته" والوجود لذاته"، و هذا التمييز هو الأساس الأول الذي يشيد عليه سارتر الأنطولوجيا

الفينومينولوجية (فيداح، ٢٠٢٠، ص: ١٥٥)، فيوضح سارتر في كتاب "الوجود والعدم" الذي يُعتبر دراسة في علم الأنطولوچيا. وفي هذا الكتاب يُنكر سارتر النظريات المثالية، مثل نظرية المثل لدى أفلاطون وكانط، ويضع بدلًا عنهم أنواعاً للوجود بالنسبة للوجودية الحديثة. وهما نوعان: النوع الأول: موجودًا في ذاته؛ وهو الوجود اللاشعوري، الملموس، الذي يفتقر القدرة على التغيير، والغير المدرك لنفسه. وهذا يقتصر على الأشياء الجامدة كالشجرة أو السكين. والنوع الثاني: موجودًا لذاته، وهو الوجود الواعي، المتغير والغير المكتمل. بالنسبة إلى سارتر، عدم القدرة على الوصول إلى الكمال المطلق هو ما يُميز البشر عن غيرهم من الكائنات. ونظرًا لكون المرء يفتقر إلى جوهر مُحدد مسبقًا، فإنه يضطر إلى خلق نفسه من العدم مِرارًا. بالنسبة لسارتر، المرء يصنع نفسه من خلال عمله في العالم لذلك، يجب على الإنسان، كموجود لذاته، أن يُحفز كيانه دومًا. فالزمن الوجودي لا يهتم بما فعلته بالماضي، أو بما ستفعله في المستقبل جُل ما يُهم هو الآن وما تختار أن تفعله في هذه اللحظة. ذلك هو ما يقرر أهميتك وجوهرك. لكن المفارقة والمعضلة الوجودية التي لا يوجد لها جواب والتي يختتم بها سارتر كتاب (الوجود والعدم)، بشعورٍ باليأس، هي أن المرء ينبغي عليه أن يعترف بأنهُ ناقص، كونه يولد من العدم، وبأنه من المُمكن له أن يسقط في الخداع الذاتي، لكن سارتر بالمُقابل يُذكرنا، ويقول" :أنا حُر، أنا مُتعالٍ، وأنا واعي، وأنا أصنع العالم" (سارتر، ١٩٦٦). ويجب علينا ان نذكر ان سارتر هو من أبرز الذين تناولوا الثورة الاجتماعية في فلسفتهم. ويروي أن الثورة الاجتماعية تتمثل في تحول جذري يحدث في ترتيبات القوى الاجتماعية، وتخضع هذه التغيرات لمنهج تحليل تاريخي وفلسفي يرصد المعتقدات والتوجهات التي تسود في المجتمع والتي تؤثر على نظام القيم والثوابت والتي تؤدي إلى إنشاء نظام من السلطات والهيمنة والتسلط. ويضيف سارتر أن الثورة الاجتماعية لا تهدف إلى تبديل الوجوه والأشخاص فقط، ولكنها تستهدف تجاوز للنظام الاجتماعي القائم والتوجه نحو العدالة الاجتماعية وتحرير الإنسان من قيود الضيم والتعسف والتمييز وتمكينه من الحرية والكرامة الإنسانية. ونجد في الفلسفة السارترية، بان الثورة تلعب دورًا مهمًا حيث يُنظر إليها على أنها وسيلة لإحداث تغيير كبير وتحقيق الحرية. باعتباره فيلسوفًا وجوديًا، فيرى أن الأفراد لديهم القدرة على تشكيل واقعهم الخاص، وأن هذه القوة هي نتيجة لوجودهم. وفي هذا السياق، تعد الثورة وسيلة للأفراد للسيطرة على حياتهم والتحرر من القيود التي تفرضها عليهم الأعراف والهياكل المجتمعية (عبد الملك، يسرى حفظ الله، ٢٠٢٢، ص:٥٢).

ولعلنا نزدلف الى فكر رفيقة دربه الفيلسوفة سيمون دي بوفوار، كانت بوفوار وجوديةً، تعتقد بعدم وجود ذات طبيعية أو جوهرية أو حقيقية؛ إذ لا أحد يمتلك غرضًا محددًا مُسبقًا له. وعوضًا من ذلك، يخلق البشر هوياتهم وقيمهم الخاصة بواسطة الأفعال التي يشرعون فيها. فالبشر في المصطلح الوجودي، مزيج من "الوقائعية" و "التعالي" فالوقائعية هي ما ينطبق علينا دائمًا، ومجموعة الحقائق التي تصفنا: متى وأين ولدنا، ولون عيوننا، وكوننا نقود سيارة، واللغات التي نتحدثها، ووظيفتنا، كلها أمثلة على الحقائق التي تُشكِّل هذه الوقائعية. وكل أفعالنا والأشياء العرضية التي تحدث لنا، تضيف إلى وقائعيتنا، اما التعالي هو تلك القدرة على تغيير مُجمل حقائقنا، ونحن أحرار في تغيير تلك الحقائق من آن إلى آخر. يمكنني أن أقرر –إن شِئت– الخروج في نُزهة على الأقدام، أو تبني طفل، أو صبغ شعري بلون مُختلف. هذه الأفعال –التي اتخذتها بمحض اختياري– من شأنها أن تُغير وقائعيتي. وما دمنا أحياءً، فإن كُلًا منا يُمثل تقاطعًا بين الوقائعية والتعالي. ونحن لسنا مُتعالين تمامًا ولا وقاعين تمامًا. فالوقائعية، عند بوفوار، هي ذاتنا الخاملة؛ ذاتنا بوصفها شيئًا، والتعالي هو القوة الدافعة التي تسمح لنا بتشكيل مصيرنا والتغير. هاتان القوتان، المتقاربتان المتباعدتان، الكامنتان في صميم وجودنا، تجعلان الغموض يكتنف الحالة الإنسانية. إنهما –بالنسبة لبوفوار– السبب الحقيقي الذي يجعلنا نواجه خيارات أخلاقية. (السعيد، ٢٠٢١، ص: ٥٤– ٥٥).

وتذكر بوفوار عبر كتاب "الجنس الآخر" ما تعانيه النساء من شعور بالظلم، وتركزت مطالبهن على التغيير الاجتماعي والسياسي والشخصي، وتبدأ حجة بوفوار لحرية الأخلاق بالإشارة إلى حقيقة أساسية لحالة الإنسان، فنحن نبدأ حياتنا كأطفال يعتمدون على الآخرين، ويكونون مضمنين في عالم من المعنى الممنوح قبلا، فنحن نولد في الحالة التي تطلق عليها بوفوار "العالم الشرعي" وهذا هو عالم القيم الجاهزة والسلطات المؤسسة والمتحكمة فينا، ونحن مطالبون فيه بالطاعة، وبالنسبة للأطفال هذا العالم ليس غريبًا لأنهم صغارا جدًا لتحمل مسؤوليات الحرية، وأن مكانه في العالم معطى بطبيعته وليس قابلًا للتغيير، وأن الطفولة لا تتعارض مع الحرية، وإنما يجب أن تعززها وتقويها، وهذا يتطلب وجود سلطة أبوية تحمي الطفل وتوجهه نحو النمو الصحيح والمسؤول. ومع ذلك، يجب أن يتم تجنب الاستخدام السلبي للحرية، سواء عن طريق الاختباء وراء سلطة الآخرين أو إقامة أنفسنا كسلطات على الآخرين. ويجب أن يتحمل الفرد مسؤوليته الأخلاقية في استجابته لتجربة الحرية والتغير وعدم

استخدامها كذريعة لإيذاء الآخرين أو التسلط عليهم، ويجب أن يحرص على مصالح الآخرين وحقوقهم. في النهاية، يمكن للفرد تحقيق حريته الشخصية دون المساس بحقوق وحريات الآخرين، وهذا يتطلب تحمل المسؤولية الأخلاقية عن استخدام الحرية بشكل صحيح ومسؤول، وأن نسعى للعمل بشغف في خدمة الأخلاق والقيم الإنسانية. (بيرجوفن وميجان بيرك، ٢٠٢٣).

يُمثل التغيير في حياة المرأة عند بوفوار إما قبول السعادة المرتبطة بالحرمان من حريتها، أو الاختيار بين الحرية والسعادة. ويُمكن فهم ذلك من خلال استنادنا إلى حجة ان المرأة تعود كغيرها، إلى عالم الطفولة المتميز ميتافيزيقيًا، والتي تتمثل في عدم المسؤولية عن النفس، وعدم الحاجة لاتخاذ قرارات مؤثرة. ويمكن القول من منظور وجودي، إن المرأة تشارك في استعبادها، ولكن هذه ليست القصة بأكملها، فإذا كانت المرأة سعيدة كالآخر، فقد يكون ذلك بسبب أن هذا هو الطريق الوحيد المفتوح للسعادة بالنسبة لها، نظرًا للحقائق المادية والأيديولوجية لوضعهن. ويجب فهم فكر بوفوار الوجودي ضمن تحليلها الماركسي للهياكل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تحدد حياة المرأة، وعلى الرغم من أن بوفوار لا تؤكد بأن هذه الهياكل تحرم المرأة من حريتها، إلا أنها لا تغفل الوضعيات التي تجعل ممارسة تلك الحرية صعبة للغاية. (العتوم، ٢٠١١، ص: ١٠ -١٢).

اما الفيلسوف الألماني مارتن هايدغر أنطولوجية تهتم بالوجود وتتخذ من الفينومنولوجيا منهجا لها. ابتعد هايدغر عن التفسيرات اللاهوتية المفارقة، واهتم بوجود الانسان في العالم. التحليل الانساني عند هايدغر لا يمكن وصفه بالمثالي او الواقعي، بل هو تحليل لوجود خالص لا ماهية فيه. ولا يهتم بتحليل الحياة الفردية، لأنها لحظة من لحظات الوجود الانساني ككل. وتتميز الوجودية عند هايدغر بانها تريد ان تخضع الانسان لمقولات جديدة، تهتم بشعور وانفعالات الانسان، مثل الهم والقلق. التي لم تتحدث عنها الفلسفات السابقة. وهذا الهم لا يعبر عن خوف الانسان من شيء معين، بل من المجهول والجديد المتغير، ولذلك يبحث الانسان في وجوده الخالص للعثور على الاطمئنان من الوجود العام. ولكن هذا البحث يؤدي الى القلق والشعور بالوحدة. وفي فكرتة عن الوجود وتغير الذات وهوا يرى ان الوجود عند الانسان ينقسم الى قسمين وجود إيجابي ووجود سلبي؛ فالوجود الحقيقي هو وجود ذاتك الحقيقية بدون تزيف وتطبيق وهو ما تؤمن به امام الناس، والنوع الثاني هو الوجود المزيف بمعني انت ظاهرك امام الناس شي مختلف عن حقيقتك الداخلية. هذا يقودنا

الى مفهوم التغير فمن كان وجوده حقيقي فهو قادر على التغير الإيجابي التغير للأفضل الذي يتبنى تطوير الذات. (شنوف، ٢٠١٩، ص: ٥٣٣).

تحدث هايدغر عن الوجود بطريقة جديدة، ليس بالطريقة اليونانية او تلك المتناولة في الفلسفة الحديثة، ليس الموجود من حيث هو عقل مطلق او تقني، ولكن في إشكالية الوجود. فما هو الوجود؛ هو تلك الموجودات التي تتجلي عنه وفيه. ومن هذه التجليات يمكن اعتبار الانسان او باعتباره الموجود الافضل من حيث ادراكه لذاته وللآخرين. او "الدازين" كما يسميه هايدغر الكينونة او الآنية المنفتحة على ذاتها وعلى العالم. الوجود ليس صفة من صفات الانسان او محمولا وانما هو اسلوب. فالإنسان في نظر سارتر هو مشروع منفتح على العالم وعلى المستقبل. فماهية الإنسان لا تتحدد إلا من خلال وجوده وحياته وأفعاله واختياراته وعلاقاته، يوجد أولا ويلاقي ذاته وهو غير حامل لأية صفات أو ماهية قبلية. إنه شخص حر ومسؤول عن أفعاله واختياراته، فهو حر حرية مطلقة غير مقيدة بموانع وإكراهات. وفي مشروع هايدغر يعطي الزمنية أهمية للمستقبل وهي من اهم المفاهيم الفلسفية عنده هو مفهوم "الزمانية" وهي تعبير عن هم الزمان الذي يكاد لا ينفصل عن حركة الموجود إلى الخلف نحو الماضي والى الأمام نحو المستقبل ومفارقته المستمر لذاته. وبالرغم من انه كائن ملقى في العالم، فهو يشعر انه ليس ما هو كائنه الآن، ولكن ما سيكون، وبما اننا نعمل من اجل الشيء الذي لم يوجد بعد. ولكننا نعود الى الماضي لنتقبله ولنأخذه على عاتقنا. فالحركة الى الوراء لا تنفصل عن الحركة الدائبة نحو الامام. فالتعالي عند هايدغر تعال افقي كما عند نيتشة باتجاه مستمر نحو العالم ونحو المستقبل والعدم. والزمن عند هايدغر له معنى فريد إنه ليس الزمن الرياضي ولا العلمي ولا المعروف لنا والذي يقاس بأدوات القياس. بل هو زمن وجودي وله الفضل في سبك كل معنى آخر للزمن. فوجود الإنسان في العالم وجود زمني أو متزمن الزمن ليس شيئا موجودا باستقلال عن الإنسان. بل هو إحدى ركائز الوجود الإنساني. علاقة الإنسان بالعالم الذي يوجد فيه علاقة " اهتمام" إن العالم سيصبح أداة لتحقيق الإمكانات التي يحقق من خلالها الإنسان ذاته (هايدغر، ٢٠١٣، ص: ١٠٦).

وتناول هايدجر مفهوم "القلق الوجودي/ فزع وجود" حيث وصفه بأنه شعور سلبي ناشئ من إدراك المرء لحريته المطلقة ومسؤوليته الإنسانية نتيجة كونه مُلقى في هذا العالم. فالإنسان الكائن المحكوم عليه بالحرية. ويعتبره أنطولوجي ومرتبط بالعدم، قيمته تتجلى في أنه يكشف للذات عن الممكن والاختيار والحرية الإنسانية (شنوف، ٢٠١٩، ص: ٥٣٣).

- المفكرين الاجتماعين ودراسة التغير الاجتماعي:

لم تكن أراء علماء علم الاجتماع الأوائل جليه حول قضية التغير الاجتماعي فلكل منهم نظرته الخاص، فمنهم من تصور أن الله يعيد الأمور إلى حالتها الأولى بنهاية مرحلة سبقت لتأتي مرحلة جديدة. وهناك من كان يرى بأن المجتمعات تشبه الكائنات الحية في تتابع مراحل الحياة من الميلاد فالنمو ثم الرشد، وأخيرا الشيخوخة والموت. والمجتمع ينحدر من الأفضل إلى الأسوأ. ومنهم من ربط التغير الاجتماعي بالتطور الفكري للإنسان وغيرها من الأفكار التي اعتبرت الجذور الأولى لفكر التغير (بوسكرة، ٢٠١٩، ص: ٢٦٣).

ظهرت أولى أفكار التغير عند كونت من خلال تقسيمه لموضوع علم الاجتماع الأستاتيكا الاجتماعية والديناميكيا الاجتماعية، إذ تختص الاستاتيكا الاجتماعية بدراسة المجتمعات في حالة استقرارها، أي دراسة المجتمع خلال فترة زمنية معنية وشروط وجود المجتمع، والأنساق الكبرى. أما الديناميكا الاجتماعية فهي تهتم بدراسة قوانين التغير والتطور وحركة المجتمع المستمرة والسير الآلي للمجتمعات الإنسانية. وكان تصور "كونت" للتغير الاجتماعي على أنه محصلة أو نتيجة النمو الفكري للإنسان وتطور العقل الإنساني، وقد اقترح "كونت" قانون يشير فيه إلى الراحل التي مرت بها المجتمعات والعقل الإنساني في تطورها وأطلق عليها سم "قانون الحالات الثالثة، المرحلة اللاهوتية والمرحلة الميتافيزيقية، والمرحلة الوضعية (الزعبي، ١٩٧٨، ص: ٥٠).

اتفق "دوركايم" مع "سبنسر" حول طرحه لموضوع تطور وتغير المجتمع إلا أنه أضاف إلى ذلك أن المجتمعات البدائية ال تتميز بالأنانية وأن الرجل البدائي يتميز بالغيرية وتوافر شعور وضمير جمعي قوى وعنيف يغلب على الضمائر الفردية، وهو عكس ما يميز المجتمع الحديث الغير متجانس والذي يرفع من شأن الفردية. (رشوان ،٢٠٠٨، ص٥٥). ولقد استقى "دوركايم" أفكاره حول موضوع التغير من تحليل سلوك الفرد الاجتماعي عندما وجده منظما حياته الماضية والحاضرة لان سلوك الفرد عبارة عن سلسلة تبدلات وتحولات عمرية وثقافية واجتماعية تمتد جذورها إلى الماضي البعيد والقريب معا، تم تعديلها وتحويلها إلى سلوك مقبول من قبل المجتمع في الوقت المعاصر، إذ قال حول هذا الشأن "لكل واحد منها في داخله جذور ترجع إلى الأمن ترعرعت بأحداث اجتماعية ماضية وحاضرة فنحن ال نمثل الاض ي بشكل كامل ولا الحاضر بصورة تامة لأن ما هو حاضر يكون له قواعد في الماضي تطورت فأصبحت جزءا من ذواتنا وكل ما يمثل الحاضر لم ينشأ بشكل مستقل عن

الماضي". فالظاهر من هذا الرأي أن سلوك الأفراد ناتج عن تغير الأحداث والمؤثرات التي يعايشها الفرد فإذا درسنا السلوك فنحن بهذا ندرس الوجه الحاضر منه، ولكننا لا ندرك بذلك كيف كان هذا الفرد قبل تعرضه للمؤثرات والأحداث المتبدلة والمتغيرة في الماضي، أي أن التغير يمكن قياسه من خلال مقارنة السلوك الإنساني بين الماضي والحاضر. وهذا ما يمكن قوله عن التغير الاجتماعي فإذا أردنا أن نثبت أن هناك تغير يجب أن نقارن أوضاع الحياة الاجتماعية خلال فترتين زمنيتين مختلفتين وهذا ما أراد دوركايم إحضاره أن عامل الزمن مهم لإثبات التغير الاجتماعي. (العمر ،٢٠٠٤، ص: ٢٣).

قدم إيميل دوركايم نظرية في التغير الاجتماعي تشبه إلى حد كبير نظرية هربرت سبنسر، دون التزام بالماثلة العضوية أو تشبيه التغير في المجتمع بالتغيرات في عالم الادة أو عالم الكائنات الحية وانطلق في رؤيته للتغير من منظور وظيفي يتأسس على فكرتي التباين والتضامن، ويتضح ذلك من العلاقة التي أقامها بين مفهوم تقسيم العمل ومفهوم التضامن الاجتماعي، فتقسيم العمل تصاحبه ضرورة مختلفة من التباين الاجتماعي تتمثل في زيادة السكان وزيادة الكثافة الأخلاقية، بل إن هذه التباينات الاجتماعية هي التي تجعل العمل ضرورة، وهو في جوهره تعبير عن هذا التباين ودالة على حدوثه فالمجتمعات تميل في تغيرها إلى أن تتباين في مكوناتها، بل إن حدوث أشكال من التباين يؤدي إلى زيادة الكثافة الأخلاقية (تنوع القيم والاتجاهات والميول والمعتقدات) وهذه بدورها تؤدي إلى تقسيم العمل وهكذا، غير أن المجتمعات لا تتحول دون ضوابط، فتحولها منضبط بقواعد ومعايير قانونية، وهنا يأتي مفهوم التضامن، فإذا كانت المجتمعات البسيطة وهي مجتمعات غير متباينة (فهي مجتمعات تحقق تضامنها وتكاملها من خلال القانون القهري) فرض أسلوب واحد في الحياة والتفكير والسلوك فإن المجتمعات الحديثة (وهي مجتمعات متباينة) تحقق تكاملها وتضمانها من خلال القانون الدني أو التعويضي (الذي يتيح إمكانية تعدد أساليب السلوك وتباينها) لذا أطلق دوركايم على النوع الأول المجتمعات مجتمعات التضامن الآلي وعلى النوع الثاني مجتمعات التضامن العضوي. (بوسكرة، ٢٠١٩، ص: ٢٦٧).

كانت أفكار "سبنسر" أكثر واقعية عند تعرضه لموضوع التغير الاجتماعي، فقد آمن بالتجريب وأدرك تنوع العوامل المؤدية إلى التغير الاجتماعي، وأن التغير صار حتمي لا يمكن لي مجتمع أن يتحاشاه أو يبتعد عن مجراه، واعتبر أن المجتمع ينتقل من التكامل إلى تزايد التباين الوظيفي داخل المجتمعات وذهب إلى القول بأن التغير الاجتماعي هو السؤول

الحقيقي عن زيادة حجم وكثافة المجتمعات، وهو من الظواهر التي تميز المجتمعات بعضها عن بعض خاصة من حيث وظائفها. (زايد، اعتماد عالم ،٢٠٠٦، ص٦٨).

تأثر "هوبهاو س" بكل من أفكار "كونت" و"سبنسر" فقد أخذ عن "كونت" أن تطور العقل الإنساني هو العامل الحاسم في التطور الاجتماعي، وأخذ عن سبنسر فكرة التطور الاجتماعي أو النمو الاجتماعي وزيادة الحجم والتعقد والتباين الداخلي لأجزاء المجتمع .واستند "هوبهاوس" لطرح رأيه عن النمو الفكري بنظرية سيكولوجية إذ يرى أن التطور العقلي يؤدي إلى تطور اجتماعي يشكل كل المعتقدات الأخلاقية والدينية، ثم ينعكس بالتالي في سائر النظم الاجتماعية وهو بذلك يعتبر هذا التطور تقدميا، طالا أن تطور العقل ينطوي على تطور الأفكار الأخلاقية تجاه المثل العليا ألخالق رشيدة من شأنه أن يؤدي إلى تغير النظم الاجتماعية الرئيسية. اما كارل ماركس استقى مذهبه من "هيجل" و"فيورباج"، فقد بنى هيجل فلسفته من منطلق أن العقل البشري له قدرة على التقدم، والعقل البشري عنده هو العقل الكلي وليس الشخصي، والعقل الكلي هو عقل يسمو على العقول الفردية ويتطور بفعل تطور وحركة الفكرة الطلقة للحركة، أو حركة الحقيقة الصافية. وهذه الحركة وهذا التطور عند "هيجل" لا يعدو كونه حركة الفكرة وتطورها وليس حركة الواقع أو تطوره فكل ما يحدث ولا يزال يحدث هو الشيء الذي يحدث في العقل.أما "فيورباح" فيرى أن الادة أصل الوجود، وأن العالم بطبيعته مادي، وأنه من المكن معرفة العالم الادي، وإذا كان الإنسان يعرف بعض الأشياء عن عاله اليوم فإنه يجهل أشياء أخرى، إلا أنه سوف يعرف مستقبل الأشياء التي يجهلها اليوم. ولكن "ماركس" قد جمع بين التصورين فهو على عكس "هيجل" رفض الذهب المثالي عنده واستخرج الجدل باعتباره حركة تاريخية مادية تعكس تفاعلا عينيا واقعيا، فإذا كان الجدل "الهيجلي "هو حوار العقل الخالص مع نفسه، فإن الجدل المادي هو حوار العقل مع الواقع. (بوسكرة، ٢٠١٩، ص: ٢٧٠- ٢٧١)، وقد أخذ "ماركس "عن "هيجل" الشكل الصوري للجدل باعتباره بناء وعملية جوهرية، ولكنه اختلف معه في المضمون الجدلي فالجدل عند "ماركس" عملية تقع في قلب التاريخ ويعبر عن طبيعة العلاقة والتفاعل بين عديد من العناصر الواقعية. (عبد المجيد ،٢٠٠١، ص- ص ٩٧-٩٦).

تحدث "ماكس فيبر" عن التغير الاجتماعي في تصوره للحركة الاجتماعية على أن النمو الاجتماعي يسير وفق شكل دائري، أما النمو الثقافي فهو يسير في خط مستقيم فالنمو الاجتماعي دائما ما يصل إلى نقطة في أثناء تطوره حيث يفقد ما جاء به النظام الجديد ما

جذب إليه الأفراد الذين التفوا حوله ودعموا وجوده ليتراجع هو الأخر ويصبح قديم، ومن ثم يتولى قائد عملية بناء جديدة، ويستقر النظام الجديد حين تتحول تطورية القائد إلى روتين، وبمرور الزمن يفقد النظام الجديد شرعيته، ثم تتاح الفرصة لقائد أخر مجدد وهكذا، أما النمو الثقافي فهو يسير في خط مستقيم بمعنى أن ال حركة التطورية تكون دائما في اتجاه أكثر عقلانية وتوافق محلي (بوسكرة، ٢٠١٩، ص: ٢٧٢).

أن الافكار التي قدمها هؤلاء المفكرين ورواد علم الاجتماع حول موضوع التغير الاجتماعي، مختلفة من حيث النوع والعمق، فهناك من رأى بأن التغير الاجتماعي هو حتمية اجتماعية والأخر يرى بأن التغير هو نمو أو تطور أو تقدم يتجلى في نمط وأسلوب حياة الأفراد في مجتمعاتهم الذي تحكمه عادات وتقاليد وأعراف تختلف باختلاف تلك المجتمعات، وقد كانت هذه الأفكار هي الجذور الأولى لظهور مدارس فكرية تسعى لتقديم تفسيرات دقيقة عن التغير الاجتماعي الذي يمكنه أن يغير طبيعة المجتمعات وتاريخها والتنبؤ بمستقبلها وأطلق على هذه الاتجاهات والأنساق الفكرية اسم نظريات التغير فيما بعد. ولقد اتخذت هذه النظريات اتجاهات مختلفة؛ فمنهم من اتبع النظرية الدائرية مثل أفلاطون وابن خلدون. ومنهم من اتبع الاتجاه التطوري كدوركايم وسبنسر، ومنهم من اتبع اتجاه النظرية الخطية مثل ماكس فيبر وغيره. (العتيبي، ٢٠١٤، ص:٢٥).

بعد الاطلاع على أهم الأفكار التي جاء بها الفلاسفة ورواد علم الاجتماع عن موضوع التغير الاجتماعي نلاحظ أنهم أقروا جميعا بهذه الحقيقة الاجتماعية التي لا يمكن تجاهلها، فالتغير يحدث في كل مكان بمعدلات مختلفة من مكان إلى آخر تتحكم فيه مجموعة من الشروط والعوامل التي يمكن أن نرجعها إلى الظروف الاجتماعية التي تسود في بيئة اجتماعية خلال فترة معينة.

- نزال الفكر بين القديم والحديث:

لا شك ان الفلاسفة اورثونا النظر كي نتأمل هذا المدى الشاسع من الرؤى والظلال حتى لا نكتفي بمشاهدة الأشياء فقط، إنما البحث فيما ورائها والتنقيب في ماهيتها كي نعيد تقييم الواقع برؤية عميقة. لان ماهية الفكر ليست استدراك الواقع وتفهمه او طرح حلول لتطوراته، بل سبر أغوار ذلك الواقع والبحث في أبعاده، ومحاولة إعادة بنائه وفق ما يتوافر لدينا من أفكار وطروحات.

ان التوازن ما بين القديم والجديد، او الموازنة بين روح المُحافظة ونزعة التجديد، من أهم المواضيع التي شغلت أذهان العلماء والمفكرين في المجتمعات الإنسانية المتحضرة وعلى مختلف مراحل التاريخ. (الحصري، ٢٠٢٢، ص: ٧).

وتؤكد الثقافات التقدمية على التغير والمستقبل، بينما الثقافات السكونية تؤكد على الحاضر او الماضي والارتباط بخبراته وثوابته وربط هذه الثوابت بالقيم والفضيلة والقبول الاجتماعي، اما التوجه المستقبلي يتضمن نظرة تقدمية مرحلية الى العالم، والتأثير على مصير الفرد في هذه الحياة (الشريف، ٢٠١٤، ص: ٢٠٧).

يُذهب بعض المجددين في نزعتهم التجديدية الى افراط شديدة فيستنكرون كل ما هو قديم استنكارًا مطلقًا، ويدعون إلى قطيعة الماضي قطيعةً تامة. كما ينصرف بعض المحافظين الى القديم بمغالاةً شديدة؛ فإنهم لا يكتفون بالتحذير من الجديد، وبالدعوة إلى إبقاء ما كان على ما كان، بل يقولون بوجوب العودة إلى الماضي، ويدعون إلى إحياء القديم المهجور أيضًا. وإذا تتبعنا تواريخ الأمم وجدنا أن في بعض المراحل من التاريخ تتغلب روح المُحافظة على نزعة التجديد، فيكتسب القديم شيئًا من القداسة، ويصبح التجديد نوعًا من الكُفر. ولا يكتفون بذلك، بل الى ابعد منه عن طريق استهجان الحركات التجديدية، ويُقاومونها، ويُوصلون الأمر أحيانًا إلى درجة اعتبارها من الجرائم التي تستوجب العقاب الصارم؛ ولهذا يطلبون مُعاقبة كل من يُقدم عليها، أو يدعو إليها، أو يقول بها. وفي حين أننا نجد في بعض المراحل من التاريخ تتغلب نزعة التجديد على روح المُحافظة؛ عندئذ يفقد القديم كل ما كان له من اعتبار، بل يصبح مكروهًا ومنفورًا منه، وتُعتبر روح المحافظة من الأمور الشائنة التي تسيء إلى سمعة الإنسان، ويتهم كل من يتوجه إلى القديم بالرجعية والتأخر والانحطاط (الحصري، ٢٠٢٢، ص: ٨).

ان المجتمعات عبر التاريخ كانت تطور من خلال الأزمات والتحديات التي تعيشها. فمع كل أزمة تكون تلك المجتمعات مجبرة على تجديد فكرها من أجل تجاوز أخطاء الماضي وبناء المستقبل. وفي العصر الحديث فإن التحديات والأزمات تتسارع بشكل كبير مما يحتم التفكير بشكل سليم للتخلي عن محدودية الرؤية والعيش على الأطلال، كما يتطلب الأمر فهم الواقع على حقيقته لتكون البدايات صحيحة وليكون التغيير من الداخل للخارج، وأن يكون للمجتمع قيمة ومعنى في كل مكسب وتغيير. إن التغيير الحقيقي يجب أن يتلمس احتياجات العصر ومواكبة الآخرين مع التسلح بالمناعة الفكرية ضد تلك الانتقادات والآراء التي تحاول

تثبيط الهمم وإيقاف عجلة التغيير. وإن التغيير الحقيقي هو عندما نجد أن الدولة والمجتمع يتغيران وفق ثوابت لا تسمح بأي اغتراب فكري أو سلب لتلك القيم والمبادئ التي تميز هذا المجتمع عن غيره والذي يمكن أن نعتمد عليه كدستور في حياتنا في مواجهة هذه الجدلية هو مبدأ التسديد والمقاربة، فلا يمكننا أن نستغني عن الحداثة ونعيش في معزل عن تطور العالم، وكذلك لا يجب أن ننخلع من مجتمعاتنا وتاريخنا وثقافتنا، وعليه يجب أن نأخذ كل ما هو مفيد ومناسب لمجتمعاتنا من الحداثة، والتمسك بكل موروث مجتمعي لنا ولا يوجد فيه تعارض مع منظومتنا القيمية والأخلاقية (النعيمي، ٢٠٢٢).

إن من أُولى الحقائق التي يتوصل إليها الباحث عندما يغرق النظر في قضية القَديم والحديث، هو أنهما عنصران هامان من عناصر الحياة. وهما متلازمان وضروريان لبقاء الحياة النفسية والاجتماعية بوجه عام. ونستطيع أن نقول إن حوادث الماضي لو لم تترك أثرًا في النفس لما استطاع الإنسان أن يرتقي إلى مرتبة "العقل العالي" التي وصل إليها، ولبقي بعيد عن قابليات الحكم، والفهم، والتفكير، والإبداع. إن القديم هو الذي يفسح المجال لقيام الحديث، والمكتسبات الماضية هي التي تُمكن الذهن والخيال من الإبداع والاختراع، كما أن الجدِيد هو الذي ينفخ الحياة في القديم ويُورثه القوة والفاعلية. ورُوح التجديد هي التي تبني من الأشياء القَديمة المباني الجديدة وتُكسب تلك الأشياء الفائدة والقيمة. فالقديم وحده جمود وموت، والحديث وحده عجز وحرمان، وأما الحياة النفسية الواعية فما هي إلا نتيجة التمازُج والتفاعُل بين القديم والحديث. ويظهر من ذلك أن القديم والحديث عنصرانِ ضروريان لقيام المجتمع وتقدمه. وبتالي فلابد من الإشارة إلى قضية جوهرية، وهي قضية التوازن بين القديم والحديث إن هذا التوازن يختل أحيانًا، من جراء توجه الأمور نحو الحديث أكثر من توجهها نحو القَديم، أو بعكس، فنجد أحيانًا أن تيار التجديد يكتسب قوة كبيرة ويصرف الأذهان عن القديم، وقد يصل إهمال القديم بهذه الصورة إلى درجة تُصبح معها مُقومات المجتمع وكيانه معرضة إلى الاندثار، فيترتب على مُفكري المجتمع عندئذ أن ينبهوا الأذهان إلى هذا الامر، ويدعوا الافراد إلى زيادة الاهتمام بالقَديم النافع. وعلى النقيض الاخر قد تتقوى روح المُحافظة إلى درجة كبيرة، فتصرف الأذهان عن الالتفات إلى حركات التجديد، فيصبح المجتمع معرضة إلى خطر الجمود والتأخر، وأن يقوموا حماية الافراد عن مهاوي الركود والجمود، ودفعهم نحو سبيل التقدم والتجديد. (الحصري، ٢٠٢٢، ص: ٩).

ان طبيعة التحولات التاريخية والاجتماعية في الفكر المعاصر الذي ارتبط بمحاولات معالجة آثار الثورة الفردية على الثوابت خاصة الثوابت الخلقية والقيمية، مما أدى مزيد من الصراعات، وهذا ما حدث في المجتمعات الغربية، و انعكس على المجتمعات العربية من خلال الطابع التناقضي لقضايا الفكر العربي المعاصر الذي يتجلي في التلازم الضروري بين القضية ونقيضها، وتصدر في هذا الصدد نماذج فكرية في الوطن العربي: النموذج الغربي الذي اصبح مرجعية ضاغطة، وتقولب فيه الاطر الايدولوجية بشكل محددة؛ فيوصف النموذج الغربي المعاصر بانه نموذجاً للعصر كله، أي النموذج الذي يفرض نفسه تاريخًا كصيغة حضارية للحاضر والمستقبل. والنموذج السلفي الذي يدعو الى نموذج إسلامي أصيل يحاكي النموذج القديم في الوقت ذاته الذي يقدم فيه حلول خاصة لمستجدات العصر. واخيراً النموذج الانتقائي: الذي يدعو الى الاخذ بأحسن ما في النموذجين والتوفيق بينهما في صيغة واحدة تتوافر لها الأصالة والمعاصرة معاً (الشريف، ٢٠١٤، ص: ٢٠٨).

ويذكر الفيلسوف المصري زكي نجيب محمود ان من مشكلة الثبات والتغير، في هذا العالم الذي نعيش فيه، يحتاج منا إلى مزيدٍ من إيضاح؛ لانه يقع في صميم مشكلاتنا الحيوية واليومية، فالسؤال مطروح علينا في كل لحظة من حياتنا، وهو: هل نتبع خُطى الأقدمين أو نجدد؟ هل نلتمس حلول مشكلاتنا فيما قال السلف وأثبتوه في مراجعهم التي جمعناها وأسميناها تُراثاً أو نلتمس تلك الحلول في وقائع الحياة العملية، التي نستقرئها لتنطق لنا بالجواب الصحيح. فلا غرابة أن تحتل مشكلة "الثبات والتغير" المكانة الأولى بين ما عرض علماء الفكر في العالم أجمع، وعلى امتداد العصور: فما الذي هو ثابت لا يتغير، بل ولا يجوز لأحد أن يُغريه؟ وما الذي يتغير من أمور الدنيا، بل وينبغي له أن يتغير؟ وقد اتسع السؤال مع الفلاسفة – كعادتهم – ليعمموه على الكون بأسره، لكن تلك التوسعة تزيد الأمر وضوحا ولا تُضيف غموضا إلى غموضه، وقد انقسم الرأي بينهم ثلاثة اتجاهات : فمنهم من رأى عنصر الثبات جوهرا يتعذَّر على العقل أن يتصور إمكان زواله، فلولا ذلك الثبات لما كنت أنت هو أنت ولا أنا هو أنا، ولا الكون هو الكون، إلا أنهم ذهبوا بالفكرة إلى حدها الأقصى حتى لقد أنكروا التغير باعتباره مناقضا للعقل، زاعمين أنه و ْهم تتوهمه الحواس في إدراكها للأشياء، ومنهم من ذهب إلى نقيض ذلك، بأن جعل التغيرات في أي كائن حقيقته التي لا حقيقة له سواها، فما الشيء من الأشياء إلا سلسلة طويلة من حالات يعقب بعضها بعضا، وأما أصحاب الرأي الثالث ،ولربما كانوا أصحاب الجواب الصحيح هو أن الثبات

والتغير يسريان معًا، فأما الثبات فهو من شأن المبادئ او الأطر، واما التغير فهو من شأن الحالات التفصيلية التي تندرج تحت تلك المبادئ (محمود، ٢٠٢٢، ص: ٤٠-٤٢).

- **استنتاجات:** خلصت هذه المقالة إلى أن فلسفة التغير تشكل العمود الفقري لفهم طبيعة الوجود في عصر يتسم بالحركة الدائمة والتحولات الجذرية. فقد تبين أن عملية التغير ليست مجرد ظاهرة سطحية، بل هي عامل جوهري يعيد تشكيل الكينونة الإنسانية، مما يستدعي إعادة تأطير مفاهيم الوجود التقليدية لتتناسب مع متطلبات الزمن الجديد.

ومن خلال تحليل مساهمات المفكرين الاجتماعيين، اتضح أن التغير الاجتماعي يمثل نتيجة لتفاعل معقد بين العوامل الاقتصادية والثقافية والسياسية، حيث قدم هؤلاء المفكرون رؤى نقدية ساهمت في تسليط الضوء على آليات التحول الاجتماعي. وقد أكد البحث أن التغير الاجتماعي يتطلب تبني منهجيات تحليلية شمولية تتيح تقييم الأبعاد المتعددة للظاهرة، مما يعكس مدى عمق العلاقة بين الفكر والمجتمع.

كما أظهر نزال الفكر بين القديم والحديث أن الصراع بين الأفكار التقليدية والمقاربات المعاصرة ليس بالصراع السلبي، بل هو عملية تفاعلية إيجابية تعمل على تجديد الأفكار وإعادة صياغة المفاهيم. وفي هذا السياق، فإن التيارات الفكرية القديمة يمكنها أن تجد آفاقاً جديدة عند دمجها مع المبادرات الفكرية الحديثة، مما يتيح بناء جسر للتواصل بين الماضي والحاضر بما يخدم تطلعات المجتمع نحو التقدم.

بناءً على ما تقدم، تُبرز النتائج البحثية أهمية النظر إلى التغير كعملية ديناميكية متكاملة تشمل أبعاداً فلسفية واجتماعية، وتدعو إلى تبني مقاربات جديدة تعزز من فهم أعمق للتحولات التي يشهدها المجتمع. ويأمل البحث أن تشكل هذه النتائج نقطة انطلاق لمزيد من الدراسات التي تسعى إلى استيعاب وتحليل مفاهيم التغير والوجود في ظل التحديات المعاصرة.

- **المراجع:**

إبراهيم، حسن حسن كامل. (٢٠١٦). التغير والثبات في الفكر اليوناني قبل سقراط. المجلد الأول مجلة أصول الدين.

إبراهيم، زكريا. (١٩٧٢). عبقريات فلسفة كانت او الفلسفة النقدية. دار مصر للطباعة.

استينية، دلال ملحس. (٢٠٠٤). التغير الاجتماعي والثقافي. الطبعة ٠١. عمان. الأردن. دار وائل للنشر والتوزيع.

الأهواني، أحمد فؤاد. (١٩٥٤) فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط. ط١. دار إحياء الكتب العربية للنشر. ص ١٠٦- ١٠٩.

بدوي، احمد زكي. (١٩٨٢). معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية. مكتبة لبنان للنشر. بيروت.

برزنجي، امل عبدالله. (١٤٤٢هـ). فلسفة التغير والثبات في رواية صوفيا لـ محمد حسن علوان: بين الرؤية والتلقي. مجلة جامعة طيبة: للآداب والعلوم الإنسانية. العدد ٢٤.

بوسكرة، عمر. (٢٠١٩). التغير الاجتماعي عند رواد علم الاجتماع. المجلد ٩. العدد ٢. مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية. ٢٦٠- ٢٧٨.

بيرجوفن، ديبرا . ميجان بيرك. (٢٠٢٣) سيمونن دو بوفوار. ترجمة: ليزا سعيد أبو زيد. مجلة حكمة. متاح على الرابط التالي: https://2u.pw/DfsNNnM

جيدنز، انطوني. (٢٠٠٥). علم الاجتماع. ترجمة: فايز الصباغ. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت.

الحصري، ساطع. (٢٠٢٢). آراء وأحاديث في التاريخ والاجتماع. مؤسسة هنداوي للنشر

رشوان، حسين عبد الحميد أحمد. (٢٠٠٨). التغير الاجتماعي والمجتمع. بدون ذكر البلد. الكتب الجامعي الحديث.

زايد، احمد. اعتماد عالم. (٢٠٠٦). التغير الاجتماعي. الطبعة.٠٢ القاهرة. مكتبة الأنجلو المصرية.

الزعبي، محمد أحمد. (١٩٧٨). التغير الاجتماعي بين علم الاجتماع البورجوازي وعلم الاقتصاد الماركسي. الطبعة .٠١ بيروت. لبنان. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

سارتر، جان بول. (١٩٦٦). الوجود والعدم: بحث في انطولوجيا الظاهرة. ترجمة: عبدالرحمن بدوي. منشورات دار الآداب. بيروت.

سعيد، مراد. خديجة زياني. (٢٠١٨). التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي: دراسة في واقع العالم العربي. مجلة الباحث للدراسات الاكاديمية. العدد الثاني عشر. ١١٦- ١٣١.

السعيد، يسرى وجيه. (٢٠٢١). أخلاقيات الغموض عند سيمون دي بوفوار. وزارة الثقافة. الأردن. دار المنظومة. ٥٣- ٥٧.

الشريف، دعاء حمدي محمود. (٢٠١٤). فلسفة التربية بين الثبات والتغير: رؤية نقدية لتحقيق التوازن بين قضايا الثبات ودواعي التغير. مجلة دراسات عربية في التربية وعلم النفس. العدد السادس والخمسون.

شنوف، نصر الدين. (٢٠١٩). الفينومينولوجيا التأويلية وفلسفة المنعطف عند مارتن هايدغر. جامعة حسيبة بن بوعلي. الجزائر.

الصبحي، أحمد محمود. (لا يوجد تاريخ نشر). في فلسفة الحضارة الإغريقية، مؤسسة الثقافة الجامعية. الإسكندرية.

عبد المجيد، حنان محمد. (٢٠١١). التغير الاجتماعي في الفكر الاسلامي الحديث: دراسة تحليلية نقدية. الطبعة.٠١ هرندن . فرجينيا. الولايات المتحدة الأمريكية. المعهد العالي للفكر الإسلامي

عبد الملك، أحلام. يسرى حفظ الله. (٢٠٢٢). الثورة الجزائرية في فلسفة جون بول سارتر وآلبير كامي. جامعة العربي التبسي. تبسة.

العتوم، ميسون وائل يوسف (٢٠١١). سيمون دي بوفوار عند العرب: ملاحظات حول المرأة العربية والشأن العام. جامعة محمد بوضياف المسيلة. الجزائر. دار المنظومة.

العتيبي، بدرية بنت محمد. (٢٠١٤). المجتمع السعودي بين التغير والتغيير: دراسة سوسيولوجية. مكتبة الرشد. الرياض.

العمر، معن خليل. (٢٠٠٤). التغير الاجتماعي. الطبعة.٠١ عمان الأردن. دار الشروق للنشر والتوزيع.

فيداح، صالح. (٢٠٢٠). تأملات في جدلية التغير والثبات في الفكر الما قبل السقراطي – هيراقليس وبارمنيدس أنموذجين, مجلة دراسات إنسانية واجتماعية. وهران. المجلد ٩.

محمود، زكي نجيب. (٢٠٢٢). في تحديث الثقافة العربية. مؤسسة هنداوي للنشر.

محمود، زكي نجيب. أحمد امين. (٢٠١٨). قصة الفلسفة اليونانية. مؤسسة هنداوي للنشر.

مدبولي، جلال. (١٩٧٩). الاجتماع الثقافي. القاهرة. درا الثقافة للطباعة والنشر.

النعيمي، عواجي. (٢٠٢٢). الفكر المتجدد لبناء المجتمعات. مجلة الوطن. متاح على الرابط التالي: https://www.alwatan.com.sa/article/1099654

هيدغر، مارتن. (٢٠١٣). الكينونة والزمان. ترجمة: فتحي المسكيني. دار الكتاب الجديد المتحدة. بيروت.